The introduction of the five senses in the novel The Boy by Alia Mamdouh Prepare

Dr. Zainab Abdul-Mahdi Nima
Baghdad University
College of Islamic Sciences
the department of Arabic language
dr.zaynabadb@rash.uobaghd.edu.iq

DOI: 10.31973/aj.v2i137.1689

Abstract:

the image of those senses that are employed as a reference for what I have chosen, other than me - the actual employment of those senses.

I hope that we employ these senses in poetry or prose, as this requires a departure from their real function to a metaphorical one that is commensurate with the nature of these literary texts. It is known that the language of literature is a special language that transcends the language of writing and research, and this is what makes us meditate and stop at each word in the literary text, and we read it more than one reading to reach approaches that correspond to what the text wanted. The writer Alia Mamdouh in her novel (The Boy)

Keywords: The novel, the senses, the personality, the time, the place.

توظيف الحواس الخمس في رواية الغلامة لعالية ممدوح

د. زينب عبد المهدي نعمة
جامعة بغداد/ كلية العلوم الإسلامية– قسم اللغة العربية
dr.zaynabadb@rash.uobaghd.edu.iq

(مُلَخَّصُ البَحث)

عندما نتحدث عن الحواس فأول ما يتبادر الى أذهاننا صورة تلك الحواس الموظفة توظيفاً مرجعياً لما اختيرت له سوا عني بذلك التوظيف الفعلي لتلك الحواس أم أننا نوظف تلك الحواس في النص شعراً كان أم نثراً فأن ذلك يتطلب الخروج عن وظيفتها الحقيقية الى وظيفة مجازية تتناسب وطبيعة تلك النصوص الأدبية. فالمعروف أن لغة الأدب لغة خاصة تسمو على لغة الكتابة والبحث وهذا ما يجعلنا نطيل التأمل والوقوف عند كل كلمة في النص الأدبي، بل ونقرأه أكثر من قراءة للوصول الى مقاربات تتوافق مع ما أراده النص، وعلى ذلك

فأننا امام نص يفيض ويتلاطم بتلك الصور الحسية التي وظفتها الكاتبة عالية ممدوح في روايتها (الغلامة).

فالظروف الشاذة والأجواء القلقة التي عاشتها بطلة الرواية استدعت توظيف الحواس الخمس توظيفاً مرجعياً وآخر مجازياً لوصف أجواء وملابسات أحداث الرواية. لقد ((عاش الأدباء والمثقفون العراقيون ومنهم كتاب القصة أجواء كابوسيه وألواناً من اليأس والاستلاب الروحي)) عطية. د. ت، ص١٢. فاستطاع من كان منهم في خارج العراق ان يعبر عن محنة العراق ((اذ وفرت فسحة الحرية في المنفى كتابة نصوص واضحة عن عذاب العراق وخوفه ومقاومته ومعاناته)) ابراهيم ٢٠١٢ص١٨٠.فهكذا بدا ان الادب القصصي في العراق تشم منه رائحة الموت والوحشية. الساعدي ٢٠١٣ ص١٤. إذ أن الكاتبة عالية ممدوح عاشت أحداث شباط ١٩٦٣ اذ كانت تسكن بالقرب من النادي الاولمبي في الاعظمية وعاشت وسمعت انين المعتقلين وصراخ المعتقلات، فاستطاعت ان تلتقط ما يحيط بها بدقة وتفصيل متناهيين اذ أبدعت في صياغة تلك الرواية، ولا سيما تناولت موضوع حساس جدا وهو العنف السياسي الذي يتعرض له السجناء السياسيون ولا سيما النساء اذ تعرضت الكثير منهن للعنف بيد انهن لم يفصحن عما جرى لهن لان (مثل هذا الموضوع هو شبهة ومثل هذه الشبهة قد تزيد من العنف الواقع عليهن) شعبان ٢٠٠٠ص٢٠١. وإذا ما صنفنا الرواية – موضوعة البحث – بالأدب النسوي الذي يراه بعض الدارسين ان له ((هويته وملامحه الخاصة وعلاقته بجذور ثقافة المبدع وموروثه الاجتماعي والثقافي وتجاربه الخاصة من نفسية وفكرية تؤثر في فهمه للعالم من حوله والمرحلة التاريخية التي تعيشها)) ينظر: بول د.ت ص١٩.

فعلم النفس يقرر انه (لا فرق بين ادب الرجل وادب المرأة لوجود علاقة ارتباط بين الذكاء والابداع وما دام انه ليس هناك فرق بينهما في الذكاء فانه لا فرق في الابداع بينهما) فريحات ١٩٩٥ ص١٠٧.

وفي بحثنا هذا نحن ازاء رواية عمدت الى رصد الحالة السياسية والاجتماعية والفكرية التي عاشها العراقيون في مرحلة الاعتراك السياسي على السلطة أبان انقلاب الحكم في العراق. وبناء على ما تقدم سنركز في بحثنا على توظيف الحواس في الرواية بعودتنا الى مرجعيتها تارة وبانزياحها عن مفهومها الحقيقي تارة أخرى وفي ضوء قراءتنا لتلك الرواية قسمنا البحث الى مبحثين الاول تناول توظيف الحواس في رسم الشخصيات، والثاني توظيف الحواس وعلاقته بالزمان والمكان في الرواية مستعينين بالوصف كأداة فاعلة في رسم تلك العناصر.

الكلمات المفتاحية: الرواية. الحواس. الشخصية. الزمان، المكان.

المبحث الاول

(توظيف الحواس في رسم الشخصية)

من المعروف ان الشخصية من الدعائم او الركائز الأساسية في العمل الأدبي، ولا سيما العمل الروائي، كونها عنصراً فعالاً في تطور العمل ونموه السردي، وان غيابها يعد خللاً فهي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بباقي عناصر العمل السردي وتقوم على دفع الأحداث قدماً الى التطور والنمو، وفي (رواية الغلامة) نقف امام شخصيات مفعمة بالحياة كون الحواس تتضافر في رسم ملامحها او تشكيلها ، ففي شخصية (صبيحة)وهي قطب الرحى في الرواية فهي بطلتها التي تعمل وظائفها لتبرز ماهيتها وماهية من حولها فصبيحة الطالبة الجامعية فتاة في العشرين من عمرها ، فتاة حالمة مثقفة ، جميلة وثرية تجد نفسها أسيرة ومختطفة في مكان موحش يعج بالأنين والألم ذلك النادي الاولمبي الذي غدا معتقلاً لكل من يعارض سياسة الدولة آنذاك ((لا تكرهيني على عمل أشياء ضدك صبيحة خاتون . هيا تحركي. ساعة زمن ونعيدك الى سريرك الدافئ هذا)). ممدوح ٢٠٠٠ ص١٦، اذ تتعرض صبيحة في سجنها الى الانتهاك والاغتصاب والتعذيب وتبدأ الرواية، اذ كانت البطلة هي الراوية للأحداث وفي روايتها للأحداث تُعمل حواسها ولا سيما حاستي السمع والشم لأنهما لم يقيدا ولم يعصبا كما فعلوا بيديها او بعينيها.

حاسة الشـم:

((حين انحنى أحدهم كثيرا امامي فقارب وجهي حذائه. لامع جديد)) ممدوح ٢٠٠٠ ص١١ تمارس الرائحة سلوكاً لغوياً ظاهره مرجعي وباطنه يشي بعنجهية واستبداد من يعذبها ((يده حتى المرفق معطرة بأجمعها. أصابعه حين يدفعها الى وجهي يطيش الفوحان الى نهايات انفي رائحة تبغ مسكر، مقطوف للتو ... هادى وعذب امتزج أريجه بقطرات كولونيا فواحة فانطبعت جميعها ... التبغ، الدم، والعطر فردتني الى حفل راقص)) تلك الروائح تشير الى سادية جلاوزة التعذيب كما تشير الى رقصهم على جثث ضحاياهم. فتلك الصور او الروائح المتناقضة رائحة العطر الفواحة تجاورها رائحة الدم الكريهة نقيضان يرقصان على مشاعر الإنسان المسحوق فرائحة العطر وأناقة الملبس رمز التعالي والعجرفة والقسوة على العكس من البساطة التي هي رمز الطيبة ((هو كان مرافقي في تلك الساعات، رجل وسيم، لطيف، معطر، ذواق ولذيذ، ولما بدأ يشعل ويطفئ اللهب على كل اجزائي)) ممدوح ٢٠٠٠ ص١١٥. مسحوقة هي انفاسها مهلهلة ورثة .ممدوح ٢٠٠٠ ص١٢. بينما تشير اليه على ان انفاسه لامعة فصورة السحق وتهلهل الانفاس تقابل صورة النصاعة واللمعان التي يتمتع بها مرافقها حيث تمارس حاسة الشم وظيفتها المجازية لتلعب دوراً بنائياً مهماً في رسم شخصية البطلة. الاشكالية التي تتشهى عطر سجانها ((اشتهيت حفيف عطر أحدهم فقط)) ممدوح

٢٠٠٠ ص٢٠. وتستعير الكاتبة مرادفا لحاسة السمع لتطلقه على حاسة الشم في تراسل ذكي ينبي عن بعض صفات البطلة، فالحفيف هو صوت الاوراق إذا ما حركتها الرياح، فحركة الاوراق واهتزازها ممتزجاً بالعطر ترسم لنا الصورة التي تخيلتها البطلة عن أحدهم وهو يضاجعها ((على أحدهم، هو وليس غيره المولع بالعطر ان يبدأ النوم معي وحالاً.

فوق السرير... وقبالة خالتي ... كلا لن اصرخ فيما إذا تطايرت ابخرة العرق والتعب، والانفعال والحب)) ممدوح ٢٠٠٠ص١٨..

فالحاسة تكشف لنا عن شخصية البطلة المركبة والمتحولة كما تصفها كاتبة الرواية (عالية ممدوح) ف (ماشوزيتها) جعلتها تتلذذ التعذيب. لقاء تليفزيوني مع الكاتبة اجرته قناة فرانسوا٢٠١٢.

وبينما توظف الكاتبة الحاسة مرجعياً في سطور معدودة فأنها تمارس سبكاً للنسيج السردي للرواية اذ تساهم في كشف الستار عن شخصية صبيحة الجريئة الشقية فقد لعب والدها دوراً في تكوين هذه الشخصية السجالية المركبة إذ أراد لها أبوها ان تكون ولدا وكان يلبسها ملابس الأولاد مما لعب دورا كبيرا في بناء شخصية البطلة ، لقد رصدت عينا البطلة وأذنيها مواقف كان لا ينبغي الاطلاع عليها مما زاد في جرأتها وشقاوتها اذ اطلعت على علاقته بوالدتها (وكلما تقدم درجة في العشق لنوعه كانت الشهوات تسعى في قوه وخطر؛ فأسمع صوته يتباهى بالفحولة ؛فلا ينتزع نفسه من جسم امي الا بعد ان تبدأ بالانتحاب السري وعلاقة بنسائه الأخريات جهاراً او خلسة ((خليني أشوف اللحم والهبر ... واشم ريحه الشوي والزفر والمرق والشحم المحروق وأني أبوسك وأشمك)) ممدوح ٢٠٠٠ ص١٢٢ .

حاسة البصر:

ورغم الغيمة الخفيفة التي اسدلت على عيني صبيحة الا انها كانت حاضرة لتصف لنا ملابس أحدهم حينما اقترب منها ((حذاؤه لامع جديد وشبه مكوي ... سرواله رمادي غامق قدرت درجة اللون رغم العتمة الخفيفة التي وضعت فيها)) ممدوح ٢٠٠٠ ص١١، وفي تضافر ما بين الوظيفة المرجعية وما بين بنية لغوية مجازية لحاسة البصر تستطيع الكشف عن شخصية صبيحة القوية رغم كل الظروف التي عاشتها في المعتقل ((يدي وأنا أضعها على حجري بدت مكبرة كما لو كانت موضوعة تحت مجهر. أرى عروقها نافرة، وارمة وصفراء. لم ارَ الالم، كان موجوداً لكنه رفيع ومضموم من الداخل)) ممدوح ٢٠٠٠ ص ١٦. فاذا نظرنا بعيني صبيحة فنراها تمعن البصر وتجيد الوصف وتفصل القول لتبرز سمات الشخصية التي تصفها فعندما تصف نفسها او زوجات ابيها او حتى وصفها لباقي شخصيات الرواية بدءا بخالتها فخرية الى شاكر او أبيها او أخواتها وحتى بدر حبيبها ففي وصفها يدها نراها تعظم وتضخم الوصف لان يدها هي اداة التدوين وهي من سيدون قصتها

لتشارك بها مسابقة جريدة الغد ((كانت يدي ضخمة ولا تربطني بها أية صلات ... تلك اليد التي دربتها وعلمتها كيف تمتص سم الثعبان ولا تموت من اللذة)) ممدوح ٢٠٠٠: ص١٣

ونراها تصف بدر بطلها السومري بصفات تجعله كلكامش ملحمتها اذ تظفي عليه كل صفات الرجولة فانفه الكبير وعيناه وحاجباه الغليظان وسواد شعره الاجعد كل تلك الصفات ترسم لحبيبها صورة البطل الأسطوري ((كان بخيلاً لكنه كبير ... انفه أكبر ما في وجهه، عيناه كانتا كضفتي نهر حاجباه غليظان في منتصف جبينه العالي، شعره مجعد اسود وبشرته بيضاء.. كان بدر طويلاً)) ممدوح ٢٠٠٠ ص٤٣.

ثم تتحول حاسة البصر لتصف لنا الشعور الداخلي للبطلة التي اضطربت شعورياً بين الحب والخوف والدهشة فلم تعد تعيير اهتماما للألم ((لم ار الألم كان موجوداً لكنه رفيع ومضموم في الداخل)) ممدوح ٢٠٠٠ ص١١٣، وفي تراسل للحواس بين اللمس والبصر ترسم لنا صبيحة صورة لخلود التي كانت تراها حيواناً مرفهاً ((واول مرة اراها، هرة مرهفة ذات وبر ناعم وجلد ماسي حيوان مدثر بالضوء والفلوس والعافية)) ممدوح ٢٠٠٠ ص٧٠فنعومة الجلد تصفه حاسة اللمس وليست حاسة النظر.

حاسة الذوق:

لا نكاد نجد توظيفاً مجازياً لتلك الحاسة، بل نعثر على مرادفات لها وظفت توظيفاً مرجعياً وقلما وظفت توظيفاً مجازياً وتارة أخرى نراها تتبادل دورها مع وظيفة من الوظائف الخمس، فنجد ألفاظا تتجاور مع حاسة الذوق مثل قول البطلة واصفة حبيبها وهو يشرب الخمرة ((يتلذذ بدر وهو يقول: كل شيء في هذه الدنيا سياسة بدءاً بالبطاقة البريدية وانتهاء بالخمرة)) ممدوح ٢٠٠٠ ص١١٥. بينما تلعب المفردة نفسها دوراً هاماً في ابراز شخصية صبيحة القوية في صفحات الرواية الأولى لنتعرف على تلك الشخصية من خلال دعائها، فبعد دعوات تطلقها البطلة توقفنا على جانب من تلك الشخصية الإشكالية السجالية فتقول ((اللهم دعني في الطرف الأقصى.. بين بين من القصص والغصص كي اتلذذ بالدم والندم، بالغرائز والتهم)) ممدوح ٢٠٠٠ ص٩، ويتحقق لها ما دعت فتغرق بالتهم، والدم، والغرائز.

وفي توظيف مبستر لحاسة الذوق بمسماها المرجعي ولكن بتوظيف مجازي ((هل يعقل أنك لم تذق طعم الضحك في عز المآسي والكوارث)) ممدوح ٢٠٠٠ ص ٤٠، بينما تسوق لنا الدلالة معنى الحاسة بمرجعيتها ((فمي مر ولساني ناشف لما سحبت سحباً من العربة)) ممدوح ٢٠٠٠ ص٢٠. وبينما تتراسل تلك الحاسة مع حاسة اللمس فتكشف لنا برودة العلاقة بين صبيحة وابنتها، فلم تكن صبيحة لابنتها حباً ((كنت اريد اسماً عادياً ولا يعود لاحد. اسماً بارداً، نيئاً لا محبوباً ولا يحترج الاعاجيب)) ممدوح٢٠٠٠ ص٥٥فابنتها التي لم

تشعر بدفيء حبها وهي في بطنها تنبؤنا ببرودة العلاقة بين الام والابنة فوصف اسمها بالبرودة يوضح هذه العلاقة ويصفها بالبرودة وعدم النضج الرواية.

فالنص يجسد لنا تلك العلاقة اذ تتشارك أكثر من حاسة في وصف علاقة الام بابنتها ((ارضعها واخاف النظر اليها. كلا لم أكرهها، لكني لم أحبها كالسابق لما كانت غير موجودة)) ممدوح ٢٠٠٠ ص١٦٥.

حاسة اللمس:

وبينما تتزاحم الحواس في وظيفتها لتسرد أحداث الرواية ، لا نلمس لحاسة اللمس وجوداً في تلك الأحداث الا من استخدامين ، احدهما ذو مرجعية حقيقة وأخر ذو مرجعية مجازية ((فيطير عقله عندما يمد اليد واللسان والفم وهي تتمطى وتتعرى في الركن الفسيح)) ممدوح ٢٠٠٠ ص٤١، وفي توظيف مجازي ((ريحانة ... وهي تخلد في حضن ابي يمامة بللها الندى والضوء ونشيد الراعي المزدحم بالنعمات)) ممدوح ٢٠٠٠ ص٢٩، فالبلل صفة ممكن ان نلمسها فقطرات الندى تُرى ولكن الإحساس بالبلل ملموس وفي تراسل للحواس جمعت الكاتبة بين أكثر من حاسة في نص واحد جمعت بين النظر واللمس والسمع فنشيد الراعي المزدحم بالنغمات والضوء لهما القدرة على البلل كما لقطرات الندى وكذا الحال كصفة البرودة التي أطلقتها صبيحة على اسم مولودها .

وفي كلا التوظيفين نلاحظ رسم صبيحة بالجرأة التي لازمتها على طول سرد الأحداث. والقدرة على التقاط صورة فنية ترسم العلاقة بين والدها وزوجته اذ مزجت بين حنو قطرات الندى وجمال الضوء وشجى أنغام الراعي

حاسة السمع:

لقد تربعت حاسة السمع على السرد فكان لها النصيب الأوفر وبينما توزعت وظائف الحواس (البصر، الشم، الذوق، اللمس) الأربع السابقات على السرد، فان حاسة السمع تربعت على عرش السرد وكان لها القدح المعلى ولعل السبب في ذلك يعود الى ان البطلة في الصفحات الأولى كانت مقيدة معصوبة العينين فكان دليلها حاسة السمع ((لو تحط يده بتواد أكثر، فتطيش اظفاره في خدي ساحباً عصابة عيني)) ممدوح ٢٠٠٠ ص٢٨

فبأذنيها كانت البطلة تتحسن الاشياء وتعرف ما يدور حولها. ولذلك تزدحم الألفاظ المرادفة لحاسة السمع في رسم ووصف شخصية البطلة كـ (الصوت، رنين، الإنصات، فحيح، الآهات، الآذان، موسيقى، هدير الطائرات)

وان استخدمت في غير وظيفتها المرجعية الا انها وردت في النص باستعمالات مختلفة، اذ لجأت الكاتبة الى أسلوب تراسل الحواس ، ولعل السبب في ذلك يعود الى اعتمادها على حاسة السمع اكثر من غيرها من الحواس كونها – كما أشرت سابقاً –

محبوسة و مقيدة العينين ، فتؤدي حاسة السمع دوراً بنائياً تعبيرياً تكشف فيه عن خفايا وخبايا السرد ، ولا سيما الكشف عن شخصية البطلة المازوشية فكيف لها ان تصف رضَّ عظامها واعضائها عندما تسحب بأنه (انين غرامي) ثم تظهر رغبة شبقية مريبة اذ تفكر في ممارسة الجنس مع احد معذبيها ((وانا وسطهم ، فكرت بأنني محبوبتهم وان ما سوف اخلفه بين ضلوعهم وأعضائهم بفعل الحرارة الشديدة ونحن في شهر شباط ، هو رض الأنين الغرامي)). فالبطلة تحول انكسارها وانسحاقها الى حفلة صاخبة تعج بالنشوة والمجون عبر منولوج داخلي يفصح عن الكثير من شخصيتها.

وفي نص آخر من الرواية تقوم حاسة السمع بتحليل الأشياء والأشخاص من أصواتها فتستطيع البطلة مثلا ان ترسم صورة للشخص الذي دخل عليها في النادي الاولمبي ((حذاؤه لامع جديد وشبه مكوي من الصوت الذي تبعثه الجلود الجديدة)) ممدوح ٢٠٠٠ ص ١١، وهو توظيف واقعي لحاسة السمع اذ ان للجلود الجديدة اصواتا وأزيز تصدر عنها، وتوظف الصوت توظيفاً استعارياً فنستعير له حاسة النظر لتبدأ الحواس بالتراسل في وظائفها، فصدأ الحديد امر يمكن ملاحظته بالعين وليس الأذن لكن البطلة تصدف أصوات صديقاتها هدى وهجران وفريدة والحاجه بالأصوات الصدئة ((أصواتهم من حديد الشبابيك بدت صدئة وعتيقة)) ممدوح ٢٠٠٠ ص ١١٦، كما ان لوالد البطلة صوت ساطع وهو يخبر بولادة ابنه ((استدعانا الوالد على عجل وصوته في الهاتف كان ساطعا) الرواية ص١١٦ فيستعير للصوت صفة السطوع من الضوء الذي يبصر بالعين بينما تستعيره في نص أخر ليجسد حالة المأساة التي تنتظر (صبيحة) البطلة وتفصح عن حالة الفقد التي ستؤول لها أحداث الرواية فبدر يطلب سماع صبيحة وهي تغني، بينما يغسل الموج صوتها ويجففه ((بدر يبوسني، يشمني وصوته مدمي: غني يا بعد عوينتي)) ممدوح ٢٠٠٠ ص٦٠ ثم نراها تجعل من الصوت جسدا تطليه بطبقات الخجل والوقاحة عندما تصف صوت الغجرية كرجية ((كانت تطلي صوتها بكل طبقات الخجل والوقاحة معا)) ممدوح ٢٠٠٠ ص١٢٠ وتستشعر الشقاء في صوت امها عندما تغني ((كلما تغني امي كانت طبقات الضيم تتفتت وتعاود ثانية طبقة بعد طبقة)) ممدوح ٢٠٠٠ ص٦١.

كما تكشف لنا حاسة السمع عن ملامح (نوعه) ام البطلة التي تحيطها بهالة من القداسة فلا نجد لها أوصافا جسدية مثلما فعلت مع زوجات أبيها عباسة وريحانة فصفات نوعه (الحياء، الصوت الشجي، فص الألماس) الا اننا نستطيع تصور نوعه من قولها ((فلساعة متأخرة من الليل يرد الباب عليها ويبدأ بتقشيرها، فيترقرق الوالد وهو ينصت لصوت البدن البض الممتلئ)) ممدوح ٢٠٠٠ ص٨٩ فكما هو صوت الجلد لامع فأن للجسد صوت يصدره يدل فيه على عافيته وترفه وهو ما كان يحبه في المرأة ((ابي لا يحب

المساحيق والاصباغ.. يريدها متعافية، يحب قبل جمال الزوجات عافيتهن)) ممدوح ٢٠٠٠ ص١٢٢.

وبلغة شعرية نلحظ توظيف الحاسة مجازياً فتكشف عن الازمة النفسية التي عاشتها البطلة، فهي جاءت الى بغداد طالبة مفعمة بالحياة والحيوية فعاشت بها واحبتها لكن ما وجدته فيها من غصص الاعتقال والخطف جعلها تمثل نفسها بقطعة من قماش وبغداد تمارس سطوتها عليها بالقص والغرز والدرز، فكان لتلك الفعاليات آلمها الذي يرن على جسدها ونفسها ((كانت بغداد تصيح عليَّ وحدها صاحت شهوراً واعواماً ... تتمنن على بالملاطفة ... وتريدني ان ابتلعها لوحدها كما تفعل الثعابين بالصيد ... ابلعها ولا اهضمها .... فقط اضعها في بطني اسور عليها وادفنها هناك، كما يدفن البحار اللآلئ .... لكن بغداد بيدها المقص، وبإصبعها الابرة والكشتبان وهي تعاود الدرز على لحمي ورنين الالم يرتب الهندام)) ممدوح ٢٠٠٠ ص٨٥.

(فرنين الالم) توظيف ذكي ليس على مستوى المجاز فقط، وانما على مستوى الصوت وتردد الحروف فالرنين يفضح شدة الالم بتراتبه المُلح المزعج فكأنه جرس مع ارتفاع مستوى الصوت في دلالة اللفظة، كما ان الكاتبة تمكنت من توظيف اللفظ ذي البعد الصوتي فكلمة (رنين) بترددها تحاكي نبضات الالم الذي يخلفه القص والدرز.

ومما تقدم نصل الى ان الكاتبة استطاعت توظيف الحواس الخمس مرجعاً ومجازاً للكشف عن سمات شخصية البطلة التي قامت بسرد احداث الرواية فأفصحت عن ألمها الجسدي والنفسي كما كشفت الستار عن قوة شخصيتها وحبها للحياة ولـ حبيبها (بدر) والخلل الذي اصاب تلك الشخصية نتيجة التربية التي تخبطت في تنشئتها فالأم تريد لها الاعتزاز بأنوثتها فتزينها بأثمن القلائد والحلي حتى تصل الى بقعتها العزيزة ((الذهب يبارك جسمي ... ضاعفت نوعه العيار عليَّ فنزل حتى ذلك المكان)) ممدوح ٢٠٠٠ ص١٠١ والأب يريد لها ان تكون ذكر فيناديها بـ (صباح) وليس (صبيحة) ذلك الاسم الذي يمكن للذكر حمله وكذا الحال للأنثى.

((يحملني بين كتفيه ويدور بي بين الغرف ... يضعني على السرير ويبدأ بملاطفتي ، يبدو معذباً ويشكو من شيء غير محدد : مصيري او هويتي، شكلي او زيِّي)) ممدوح ٢٠٠٠ ص ١٠١، ولو ان صبيحة لم تسجن و لم تفقد بدراً لما آلت بها الظروف الى ما وصلت اليه من الابتذال والانحراف وبالنهاية الانتحار فقد كانت تريد العيش مع بدر حياة سوية مفعمة بالحب والامل ((ونحن نخوض في الموضع ذاته ... باتجاه الفرات والهلال صار بدراً وانا اشيل يده، اضربها وأبوسها ابوس العينين والاهداب المبلولة ... اجمع الماء في يدي، اغرف، اشرب، أسقيه، اخوض واسحبه للداخل ... نضحك بصوت عالٍ ...

ونطلق عياطاً كما لو كان مولدات كهربائية لا تتوقف عن الحركة والدوران ، والموج يغسل صوتي ويجففه ويقدمه وحده جازماً معه التكرار)) ممدوح ٢٠٠٠ ص ٦١، فصيحات النشوة والفرح التي تتردد بتردد الموج والتي تبعث الحياة في ترددها فبنية الافعال المضارعة التي وظفتها الكاتبة وما فيها من دلالة على الحضور والاستمرار ساعدت في نسج النص اللغوي فنراها تقول ((نخوض اشيل ، اضرب ، ابوس ، اجمع ، اعزف ، اشرب ، اسقي ، اخوض، اسحب، نضحك)) كل هذه الافعال الموظفة الواحد تلو الآخر بثت في النص الحركة وكان امل البطلة هو العيش بأمان وسلام ، لو لا خيبات الامل التي اصابتها .

المبحث الثاني

توظيف الحواس في بناء الزمكانية: الزمان

المكان في رواية الغلامة وتوظيف الحواس

يمكننا ان نطلق على الزمن في رواية الغلامة لعبة الزمن اذ تمكنت الكاتبة من جعل الزمن في الرواية أداة طيعة تشكلها حسبما تريد اذ يتداخل زمن السرد مع زمن الرواية فتارة ترد الأحداث في زمن الحضور وأخرى بزمن الاسترجاع اذ يشير منظرو السرديات الى وجود ((أربع أنواع من السرد، هي السرد اللاحق للقصة والسابق عليها، والمتزامن او المتواقت معها او الذي يتخللها العاني ٢٠١٠ ص٣١، وقد حفلت رواية الغلامة بكل هذه الانواع ففي الصفحات الاولى عندما نقرأ الرواية نحسب ان الأحداث آنية وان البطلة تروي احداثاً تمارس عليها وهي تسرد ((ها انا أقوى على تحريك يدي اليمنى وأحاول الانفكاك من حدود تلك الحقب)) ممدوح ٢٠٠٠ ص١١

ثم تبدأ بزج حواسها في تلك السطور فنستشعر ان الحدث متزامن مع السرد، وان التبئير مثلي تصاحبي فمعرفة السادر تساوي معرفة الشخصية. ينظر حاجم ٢٠٠٩ ص٣٢، اذ ان الشخصية او البطلة هي السادرة التي تقص علينا أحداث الرواية، وتبدأ بزج الحواس في ذلك السرد لتضفي واقعية على أحداث الرواية.

ونبدأ بحاسة الشم متبعين التقسيم السابق للحواس ففي الصفحات الأولى للرواية حاسة الشم تتظافر مع السرد لتثبت لنا انه – أي السرد – متزامن ((أصابعه حين يدفعها الى وجهي يطيش الفوحان الى نهايات انفي.. رائحة تبغ مسكر مقطوف للتو، مسوى في الحال ومورث قبل ثوان ممدوح ٢٠٠٠ ص١١ فالبطلة تحاول جعل الحدث يتماهى في رائحة العطر التي كان يتعطر بها أحد جلاوزة السجن، ثم تعطل باقي الحواس مقتصرة على حاسة الشم لتتناسى الالم والخوف والريبة التي كانت تحسها وهي في ذلك المكان ثم تثير فيها رائحة التبغ الممزوج مع العطر مع الدم الذي يخرج من جسدها رائحة حفل راقص قديم مر بذاكرتها، ولعلّ لون الدم الذي يشبه النبيذ هو ما أثار ذلك الشعور عندها لاسيما انها تشير

الى ان الحفل قديم. ان الروائح أثارت تداعيات الماضي في ذاكرة البطلة، فالماضي يمثل البطلة بصورة مشرقة سعيدة، استطاعت استعادتها عبر تقنية الاسترجاع والإحالة الى الماضي

فالحفل الراقص = التبغ + الدم + العطر

وليس كل ما في الماضي جميل فقد تحيلنا حاسة الشم الى ماضي مليء بالخوف والريبة فتؤدي بذلك وظيفتها المرجعية فضلاً عن الوظيفة المجازية ((كانت الغرفة تموج بالروائح المسك والفل، الذهول والخوف)) ممدوح ٢٠٠٠ ص١٧.

وفي النص المقتطع تمارس حاسة الشم وظيفة مزدوجة الأولى مرجعية إذا كانت غرفة صبيحة مليئة بالروائح، فأحد رجال الأمن الذين اقتادوها الى النادي الاولمبي كان يرش قوارير العطور في غرفتها حتى يؤتي على آخرها ((اول حركة بدأت لما مد يده على قوارير العطور، فبدأت مشاهد القصف في اليمين والشمال)) ممدوح ٢٠٠٠ ص ١٦، والثانية وظيفة تكشف عن شعور البطلة بالخوف والريبة لما سيحدث لها

حاسة الشم وظيفة مزدوجة بين الحقيقة والمجاز
- حقيقة/ رائحة العطور التي رشها رجل الامن (وظيفة مرجعية)
- مجاز/ رائحة الذهول والخوف (حالة البطلة النفسية)

ونجد هذا التوظيف في مقطع اخر من الرواية ((خائفاً يا استاذ وانا استنشق هواء الخوف لما أصير تحت أضواء الكشافات وهي تقترب من سحنتي)) ممدوح ٢٠٠٠ ص٢٣٥.

اما حاستي اللمس والذوق فلم نجد لهما دوراً في بناء زمن الرواية الا من مقطع يكمل سلسلة الوصف التي قامت بها صبيحة البطلة وهي تصف مسلم التقي اذ تطلق عليها صفات كاريكاتورية لتكلل تلك الصفات بوصفه متجهماً لا يضحك فهو لا يعرف للضحك طعماً ((هل يعقل انك لم تذق طعم الضحك في عز المآسي والكوارث في عز الشتاء والصيف ، في عز الكآبة واليأس)) ممدوح ٢٠٠٠ ص ٤٠، فالضحك معادل موضوعي للمشاعر الإنسانية ، فالسيد مسلم التقي لم يتفاعل شعورياً مع ما يحيط به من أحداث فلم يضحك لا في موقف مضحك ولا في أخر مأساوي ولا في صيف ولا في شتاء فالصيف والشتاء هما رمز الأيام والسنين ، بل ورمز للكآبة واليأس ، فطالما كرهت البطلة فصول السنة باستثناء الخريف الذي كان يمثل لها ((شهر المثل العليا)) ممدوح ٢٠٠٠ ص٣٣.

اما حاسة البصر وعلاقتها بالزمن في الرواية فلم نجد لها تطبيقاً بينما وجدنا لحاسة السمع تطبيقات تتشاطر مع بقية الحواس للدفع بزمن الرواية قدماً، فالصورة هي جزء من ماضي البطلة التي برعت الكاتبة في رسمه اذ جعلت البطلة تتكلم بضمير المتكلم وبصيغة الماضي لكونها كانت تروي – تكتب – حكايتها التي شاركت بها في مسابقة جريدة ((

الغد)) ((بأعلى صوتي كنت اريد الصراخ عالياً أمامك او وراءك فذلك افضل من هذا الصمت النيء)) الرواية ص ٤٣، فالبطلة كانت أمام مسلم التقي الشخصية المضادة لشخصية البطلة فصراخها بوجهه أو بوجه من سيأتي بعده افضل من صمتها (النيء) ومثلما يتلاشى الزمن اذا ما تقادمت الايام فإن صوت هجران وهدى وعادل والعمة فريدة والحاجة وفيقة خلف الشبابيك الحديدية عندما اخذوا النداء على صبيحة ((أصواتهم من حديد الشبابيك بدت صدئة وعتيقة)) ممدوح ٢٠٠٠ ص ٦٨،

بينما يستدعي صوت هدى الذاكرة ويسترجعها بكل تفاصيلها ((كان صوتها مكتظاً بكل الماضي، لكنه صوت ناجز وحاضر، يفرض برهانه ويحاصرني من جميع الجهات)) ممدوح ٢٠٠٠ ص ١٣٤، صوت هدى كان صدمة أعاد لها كيانها الذي أرادت له ان يسحق ((كان صوتها ينطحني)) ممدوح ٢٠٠٠ ص ١٣٤، فالبطلة أرادت نسيان ماضيها لكن صوت هدى كان يأتي من غياهب الماضي الذي مثل لها منافذ للخطر والتهديد ((محظور أي مخلوق، طاهر او سفيه ومهما كانت صلته بي حميمة كانت تفتح أمامي منافذ الخطر والتهديد)) ممدوح ٢٠٠٠ ص١٣٤.

لقد استطاعت الحاسة ان تجسد لنا الماضي بذلك الصوت الذي أصدرته هدى بما يحمله من أسي والم. فكان صوتها صرخة مدوية تشق جلال الصمت وتعيد الى البطلة ذكرياتها.

الخاتمة

ختاماً يمكننا القول أننا كشفنا عن رواية للكاتبة عالية ممدوح بحواسها الخمس ، اذ عبرت وبشكل واضح بتلك الحواس عن مقصدتيها بتوظيف مرجعي واخر مجازي فجعلت كل حاسة في مكانها المناسب فالأحداث ترى وتسمع بالعين والاذن وتارة وظفتها توظيفاً مجازياً، فعمدت الى وصف الشخصية وبنائها الداخلي اذ افصحت عن شخصية البطلة فمن خلال السمع الذي بدا اكثر توظيفاً من غيره من الحواس نظراً لكون البطلة كانت مغيبة في غياهب سجن مظلم فلم ترَ ما يدور حولها أكثر مما سمعته ولذا وجدنا ان حضور حاسة السمع الموظفة توظيفاً مرجعياً اكثر من غيرها من الحواس ، وتارة اخرى كانت توظف تلك الحواس مجازياً فتستشف ملامح الشخصيات وكنهها من خلال ذلك التوظيف .كما وجدنا ان الكاتبة نجحت في معالجة عنصر الزمن في الرواية من خلال توظيف الحواس الخمس ، فكانت تسترجع الشخصية المأزومة والاشكالية فهي تقف بين بين من جنوستها، نتيجة تربيتها فوالدها كان يريدها ذكر بينما والدتها كانت تتغزل بأنوثتها فنشأت شخصية متحولة وسجالية، وهو ما عبّر عنه عنوان الرواية (الغلامة) كل ذلك عبرت عنه الرواية بتوظيفها للحواس .

المصادر والمراجع

١- الرواية السياسية – دراسة نقدية في الرواية السياسية العربية، احمد محمود عطية، مكتبة مدبولي، القاهرة ومؤسسة مطابع معتوق، بيروت، لبنان (د. ت) ص١٢.

٢- الحرب والمجتمع، تحليل اجتماعي للحروب ونتائجها الاجتماعية والثقافية والنفسية، جاستون بول، ت عباس شريني، دار النهضة العربية، بيروت، ص١٩.

٣- رواية الغلامة، عالية ممدوح، دار الساقي، بيروت – لبنان، ط١ ٢٠٠٠، ص١٦.

٤- لقاء تليفزيوني مع الكاتبة عالية ممدوح اجرته قناة مونت كارلو مارس ٢٠١٢ . www.alghulama.com

٥- تمرينات نقدية في التحليل والافتراء شجاع مسلم العني الفراهيدي للنشر بغداد ط١ ٢٠٢٠

٦- زمن الحكاية. زمن القص بشير حاجم مركز الثقلين بغداد ط١ ٢٠٠٩

٧- مجلة تبين للدراسات الفكرية والثقافية العدد الثاني المجلد الاول خريف ٢٠١٢

٨- العنف السياسي في السرد العراقي عبد جاسم فضاءات للنشر والتوزيع والطباعة عمان الاردن ط ١ ٢٠١٣

٩- شخصية المرأة في القصة القصيرة في الاردن محمود فريحات در الكندي ١٩٩٥ اربد الاردن ط١

١٠- المرأة العربية في القرن العشرين بثينة شعبان المدى للثقافة والنشر سوريا ط١ ٢٠٠٠

References:

1. Arab Women in the Twentieth Century Buthaina Shaaban Al-Madda for Culture and Publishing, Syria, 1st edition 2000
2. Critical exercises in analysis and slander Shuja Muslim Al-Ani Al-Farahidi for publication, Baghdad, 1st edition 2020
3. Political violence in the Iraqi narrative, Abd Jassim Spaces for publishing, distribution and printing, Amman, Jordan, 1st edition 2013
4. Tabeen Journal for Intellectual and Cultural Studies, Volume Two, Volume One, Fall 2012
5. The character of women in the short story in Jordan, Mahmoud Freihat, Dar Al Kindi 1995 Irbid, Jordan, 1st edition
6. The Girl's Novel, Alia Mamdouh, Dar Al-Saqi, Beirut - Lebanon, 1st edition 2000, p. 16.
7. The Political Novel - A Critical Study of the Arab Political Novel, Ahmed Mahmoud Attia, Madbouly Library, Cairo and Matouk Press, Beirut, Lebanon (d. T.), p. 12.
8. The time of the story. The time of storytelling Bashir Hajim Center Al Thaqalain Baghdad 1st Edition 2009
9. TV interview with writer Alia Mamdouh, conducted by Monte Carlo Channel, March 2012. www.alghulama.com
10. War and Society, a social analysis of wars and their social, cultural and psychological consequences, Gaston Paul, T. Abbas Shreni, Arab Renaissance House, Beirut, p. 19.